

مع فتاة

حديث غير مفيد

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

قلت : « غيرى ؟ »

قالت : « نعم ، إلى حد ما ، وإنها لسخافة ، ولكن هذا هو الواقع ، ولا حيلة لي أراها »

قلت : « الحكمة القديمة تقول إن الإنسان لا يحيا بالحبز وحده ؛ أما الحكمة الجديدة فتقول إنه لا يحيا بالحب وحده »
قالت : « أعرف هذا ولكن ... »فقاطعتها وقلت : « ولكن يا فتاتي الغيرة يجب أن تعلمي أن للصدقة — كما للحب — مطالبها ومقتضياتها ؛ ومن الجلي أن هذه الصدقة تنيله ما لا يسعك أنت أن تنيله . وإذا كان لي رجاء ، فهو ألا تحاولي أن تستحوذي على هذا الشاب ، فإن من الخطأ الذي تقع فيه المرأة كثيراً أن تحاول أن تبلغ الرجل ... ومن يدري ... لعل المرأة كانت أسبق من الرجل إلى أكل اللحم البشري ، وعسى أن تكون هي التي علمته ذلك ... ولكننا ارتقينا يا فتاتي الجميلة ... خرجنا من عصور الاستيحاء ... ثم اسمي ... لا تصدق أن من الممكن إدماج حياة في حياة ، وأن اثنين يمكن أن يكونا واحداً ... تذكرى ما تعلمت من علم الحساب ... وخير من هذا ، وأجلب للراحة أن توطن المرأة نفسها على أن للرجل حياته المستقلة ... فإن محاولتها الاستحواذ على الرجل تؤدي إلى جعل الحب آفة ، والمكس أولى بأن يكون » .
فقلت بلهجة مبطنة بالمرارة : « إن من الطبيعي ولا شك أن يكره الإنسان المشاركة »

قلت : « الرغبة في الاستحواذ مرة أخرى ... ولكن هل أنت مشاركة فيه ؟ هل في وسعك أن تنفيه عن صديقه وأن تحل محله ، وتشبى الجوع الذي يحسه من هذه الناحية ؟ لا أظن فاقني بنصيبك منه ، ودعي له البقية التي لا يكون في مقدورك أن تسدي الفراغ فيها ... إن من المسير أن تصبيه في القالب الذي يروقك ... صعب جداً أن تغري الناس ... كل ما يمكن أن تنجح فيه هو أن تسيئي إليه وتنفريه ... فإدام بشر بالحاجة إلى صديقه هذا فدعيه له ، ولا تطمي أن تسليه منه الآن ... إنك جديدة عليه فأتركي الوقت الكافي للتكيف .. ومن يدري .. إنه لا يجد فيك الآن كل ما تصبو إليه نفسه ... قد يستغنى بك عن الدنيا قاطبة فيما بعد ... بعد أن تتكشف له نواحي نفسك

دق التليفون قبيل الظهر ، ودعيت إليه ، فسمعت صوتاً كدت أنساء من طول المهد به يسألني : « هل تستطيع أن تهبنى من وقتك الثمين دقائق ؟ إن بي حاجة إليك فلا تخيب أمني فيك »

فشوقني ذلك إلى لقاءها ، وإن كانت قد جفنتي ونبتت بي بلا موجب أعرفه ، فذهبت إليها ، وقلت وأنا أهدق في وجهها متغرساً :

« والآن ما الذي زوى بين هاتين المينين الجميلتين مذ كنت هنا آخر مرة ؟ »

قالت وهي تبشم وتعد إلى يديها بصندوق السجائر :

« خمّن وأراهن أنك لن تقع على الصواب ! »

قلت وأنا أشمل السجارة على مهل :

« أهو شيء عجيب جداً إلى هذا الحد ؟ »

قالت : « نعم وجديد أيضاً »

وكانت مقطعة على الرغم من ابتسامها ، ولكن وجهها كان كأنه في حالة . فقلت : « إن هذا الذي أطالعه في محياك الرضى لا يكون إلا من شيء واحد . فن هو ؟ لا تطيلي عذابي »

قالت وهي تنهد : « إنك لا تعرفه ... شاب أصغر مني ... قد يكون هذا جنوناً مني .. ولكنه هو أيضاً مجنون .. بالآثار .. »

قلت : « إن في الدنيا ضرباً شتى من الجنون ، فلا تخشى أن أنكر عليك أو عليه شيئاً ، ولكن الذي لا أستطيع أن أفهمه هو أن تضیی وقتك معي و تنك أن تكوني معه »

قالت : « هذا ما أردت أن أحدثك معك فيه ... إن له صديقاً حياً من علماء الآثار ... لا يفترقان ... ولا كلام لها إلا في هذه الآثار ... وأنا أزعم أني لا أبالي ... ولكنه يدولي أن هذا الحال غير طبيعي »

شيئاً فشيئاً... ولكن من يدري أيضاً... قد يقين أنك أنت أيضاً لا تجدين عنده كل ما تطلين من الحياة... قد تجدين مثلاً مجرد مثل... أنك لا تستغنين عني، وأن بك حاجة ولو قليلة إلى صداقتي الفارغة. على كل حال، لقد احتجت اليوم إلى، ولو أنه كان حسبك من كل ناحية لما دعوتني إليك»

وتناولت فنجان القهوة، ورشفت منه رشقة ثم أعدته وقلت: «ويا سمجة، كلمة أخرى... إن من الخطر أن تزوج المرأة رجلاً أصغر منها... واسمحي لي بأن أكون فظاً فإن صداقتنا تعطيني هذا الحق، وأنت أغر على من أن أهمل فتح عينيك على الحقائق. نعم، خطر كبير هذا، فإن المرأة تفقد جمالها بأسرع مما تفتر عواطف الرجل وتضعف قواه»

قالت: «بكفي، فاني لا أجهل هذا»

قلت: «حسن... إذن تعالي تتمشي»

ولكنها في الطريق لم تكن خيراً منها في البيت، كانت قلقة مضطربة على الرغم من تكلفها الابتسام، وحرصها على التظاهر بأن لا شيء يثقل عليها أو يكرهها، فاضطرت أن أقول لها: «إن من واجب المرأة حين تحب رجلاً أن تحرص على إسماعده، كما تطلب أن يحرص هو على إسماعدها، والرجل على كل حال لا يستطيع أن يفهم لماذا يكون هو المظي والواهب والمضحي دائماً؟»

قالت: «إن كثيرين من الرجال يفعلون ذلك ولا يتعلمون» قلت: «ندع أنهم ليسوا رجالاً بخير معاني اللفظ، وندع أن فتاة مثلك لا يرضيها واحد من هؤلاء الرجال المهازيل، وبكفي أن أنبهك إلى أن هؤلاء الذين تذكريني بأمرهم ساخطون ناقون في قلوبهم، وأنهم يحسون بأن عيشتهم سوداء، ولا يشعرون برضى حقيقي، وإن كانوا لضعفهم لا يجرون أن يظهرُوا لنسائهم ماخني من أمرهم عليهن، ولو أنيحت لواحد منهم فرصة التمرد لتمرّد وجازف... وهذا يحدث كثيراً... ومجازفة الضعيف الخائف أقطع من مجازفة القوي النظمين الواقع بنفسه... فلا تدرى هذا...»

قالت: «لماذا تشكّم هكذا... إني لا أحاول أن أتحمك فيه أو أسيطر عليه»

قلت: «قد يكون هذا صحيحاً، ولكنك تحاولين أن تمنعني أن يرضى نفسه من ناحية لا تستطيعين أنت أن ترضيه منها... تحاولين أن تخطفيه من أصدقائه الذين يحسن ويعرف أن به حاجة إليهم... إن الرجل ليس كالمرأة، وهو لا يفهم الحب كفهمها له، والحب ليس كل شيء في حياة الرجل، وإن كان كل شيء في حياة المرأة؛ ثم إنه شيء لا دوام له في الأغلب والفتور يعموه على الأيام؛ وهذا الاستحواذ الذي تفرى به طبيعة المرأة ليست له ثمرة إلا إغلال من الجانبين... أظن أن كلاي ثقيل عليك جداً، ولكن ماذا أصنع وأنا مدعو لا أكون ثقيلًا؟ كالطبيب... جعلت مني طبيباً لك لا صديقاً، وما حيلة الطبيب إلا أن يثقل على الناس بما يعليه عليه علمه وفنه؟»

ولكنها لم نسمع ولم تقننع، وأبت إلا أن تطيع طبيعتها. ولها المذر، وتزوجت الرجل، وفرت ما بينه وبين صديقه العالم بالآثار

وبعد سنتين اثنتين لا أكثر دقت لي التليفون مرة أخرى فأحسست بأن الصوت معروف، ولكني لم أذكره حتى قالت اسمها، ودعيتني إليها، ولكن هذا حديث آخر يطوى، فلترجته إلى وقت غير هذا...

ابراهيم عبد القادر المازني

آلام فرتر

للساعر الفيلسوف جون المازني

الطبعة الجديدة

ترجمها: أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ونعها ١٥ قرشاً